الخـــــاتمـــة

إنتهينا فى الفصول الأربعة المكونة للد راسة إلى اكتشاف العناصر البنائيـــة والأساسية لنص " محمود د رويش " الشعرى من موسيقى ولغة وصورة ومحتوى فكـــرى. وغنى عن الذكر أن العمل الشعرى والفنى عموما ليس مجرد عناصر أو مكونات منفصلـــة ، وانما يمتلك الفنى جماليته أساسا من تضافر هذه العناصر مجتمعة فى نسيج واحـــد ، وفى الشعر ـ فكما يقول " جيرار جينيت " : " ليس النص هو موضوع الشعرية بـــل جامع النص أى مجموع الخصائص العامة أو المتعالية التى ينتمى اليها كل نص " (١) .

وان اكتشاف ذلك التضافر البنائى بين مقومات الفن الشعرى يتم من خلال تحد يـــد سمات وخصائص كل عنصر بنائى على حدة ـ مرحلة أولى ـ ثم بناء هذه الخصائـــص وتلك السمات فى رؤية كلية هو " جامع النص " أو " الشعرية " .

فى الفصل الاول نجد أن اهتمام ورعاية " محمود د رويش " لشكل شعره الموسيقـــى قد جعله دائما داخل موروثه التشكيلى لموسيقى الشعر العربى باختلاف طبيعة موقعه منه ، فوجد ناه داخل موقع جدلى مع هذا الموروث منذ د واوينه الاولى الامر الـــذى جعل من التشكيل التقليد ى لموسيقى شعره مجرد مرحلة اختبارية لامكانات هذا التشكيل فى الانفتاح على الشكل الحديث المؤسس على أسس هى فى جوهرها تنتمى الـــى رؤية واعية بطبيعة التراث الابداعى ـ وليس النقد ى ـ وامكانية المعاصرة د ون الانقطاع عنه ، يتأكد هذا الذى نذهب اليه فى تشكيل " محمود د رويش " لموسيقى شعـــره تشكيلا حد يثا ، حيث تتجلى أهمية الايقاع فى التزام بوحد ة الوزن الشعرى ـ عـــدا بعض قصائده ـ رغم شيوع ظاهرة التنويع الوزنى عند الاخرين ، ورعايته للقافية وانتخـاب مواضعها بما يحقق لها وظيفتها الايقاعية ، وكذلك هذا التنسيق الجمالى للوزن الشعرى بشكله التقليد ى داخل التشكيل الحد يث بما يوفر لمجمل النص ايقاعية ثرية بتنوعهـــا بين الضبط التماثلى والتشكيل الحر ، ومن منطلق هذه الممارسة الابداعية للتشكيـــل الموسيقى فقد وجد نا الشاعر يحمل هذا التشكيل بالكثير من الد لالة التى لم تكن لتتأد ى بواسطة اللغة ، فقد كان للتشكيل الموسيقى د لالته داخل النص ـ مساهمته فى بنـــاء الد لالة الكلية للنص ـ ود لالته الاخرى التى تربط بين النص وسياقه الخارجى ، وقـــد لوحظ ـ غالبا ـ فى شعر د رويش أن بروز الايقاعية الغنائية خاصة بالموقف الثورى ، بمعنى أنه كانت ثمة موازاة بين جماليات التشكيل الموسيقى وجماليات الموقف الثورى ، والعكس

---

(١) جيرار جينيت ـ مد خل لجامع النص . ت: عبد الرحمن أيوب ـ ص ٩ .

العالم " (١) ومن هنا يكون لخلق الصورة الشعرية هاجسها النفسي الذي يرتبط ـ بما هو استجابة ـ لمثيره الواقعي وعلى أساس ذلك تعددت أنماط الصورة الشعرية من النمط الواقعي الذي يحاول أن يمتلك اللحظة ـ المأساة من الواقع كما هو أو حسب تنسيقات ابداعية من الشاعر لفرض رؤيته على هذا الواقع ،أو تحريره كاملا من بنيته في الخارج . هذا التحرير الذي كان جسرا الى نمط آخر هو الصورة المجاوزة للواقع ،إلا أنه تجاوز لتشكلاته وليس لدلالته ،فان الواقع الفلسطيني يظل وكأنه رمز كلي دلالته دائما أعمق من تحققه ،وهكذا ففي محاولة الشاعر امتلاك الدلالة تجاوز عن التحقق البسيط للواقع متغورا أعماقه حيث يفرض الوعي تنسيقاته على الواقع وليس العكس كما في النمط السابق وكانت الهجرة من ظاهر الواقع الى باطنه ومن سيطرته على الوعي الى هيمنة الوعي عليه مرحلة لصورة أو نمط تصويري آخر هو الصورة التشكيلية التي تمثل محاولة شعرية للرد على خواء الواقع ـ اللوحة البيضاء ـ والعدم الماثل في هذا الخواء ،وكان التشكيل ـ الرسم ـ اللغوي في علاقته المباشرة بمنظور الشاعر الفني خالصا لابداعه ودالا عبر مساحة الجمالية الرمزية على الواقع .

والصورة الشعرية في كل أنماطها صلة ذات كيفية خاصة بالواقع الفلسطيني ومن هنا كانت اضاءة الواقع للصورة سواء كانت مطابقة ـ ايحائية أو كانت مجاوزة أو تشكيلية واحدا من أهم أدوات تفهمها ، وقد كان تجاوز " الشاعر " لتنسيقات واقعه وأشكاله يعني الدخول في أفق ترميزي لا بأسر الدلالة قدر ما يطلقها امكانية مفتوحة دائما على احتمالات امتلاك المعنى وهو ما وسم الصورة الشعرية بالعضوية النصية بمعنى أن لها كينونة وجودها النصي مجموع علاقات تنبني بينها وبين مجالها الشعري الذي تنوجد فيه .

وفي الفصل الرابع كان البحث عن كيفية الظهور الجمالي للمحتوى الفكري في نص " محمود درويش " حيث نجد ربط الواقع الفلسطيني بالجوهر الانساني العام بواسطة " الاسطورة " و " الرمز الديني " سواء كان التوراتي " أو الانجيلي أو القرآني ،وكذلك " الرمز التاريخي " ،لقد كان الربط بين الواقع الفلسطيني وعناصر أركيولوجية تراثية من أسطورة ورمز وتاريخ يفرض على الشاعر جهدا ابداعيا لتوظيف هذه العناصر ـ غير الشعرية ـ لتنسجم في سياقها الشعري ،هذا الجهد الذي

---

(١) جان بول سارتر ـ ما الادب ـ ت : د / محمد غنيمي هلال ـ ص ٤٥ .

يمثل تبعيدا أو تغريبا للعناصر الأركيولوجية عن سياقها لتصبح فلسطينية أكثر بقدر ما تمتلك من شعرية فى السياق ، وقد اتضح - فى هذا الفصل - من طبيعة " الرمز " الموظف مقدار انسانية الموقف الفلسطينى الذى لا يقع فى التعصب الشامل ضد نقيضه - عدوه - وانما يقف ضد المعنى اللا انسانى الذى يمثله هذا العدو ، انه عدوه بقدر ما هو ضد الانسان وحركته فى الوجود ، وفى ممارسة أشد تماسا مع الواقع المعاصر كان توظيف الشاعر لمجموعة من مفردات العصر الذى يخلق تعددا لغويا داخل النص الشعرى يصله - رغم تبعيده الجمالى - بواقعه والواقع المعاصر ككل .

نستطيع أن نبلور هذه النتائج التفصيلية فى عدة نقاط أساسية أهمها :

" ان محمود درويش قد وازن موازنة بارعة بين أصوله التراثية وممارسته الابداعية ، فاذا كانت حداثة بعض الشعراء تمثل قطيعة جمالية ومعرفية مع التراث ، فان على العكس من هؤلاء كانت حداثة " درويش الشعرية " تواصلا ذا كيفية مخصوصة مع التراث الشعرى العربى " . "

ان علاقة " محمود درويش " بواقعه الفلسطينى لم تكن أبدا علاقة تطابقية ، فان ابداعه الشعرى دال على خصوصية رؤيته للواقع ليس فكريا وانما ابداعيا ، فالواقع عنده مجرد معجم (فلسطينى) يقدم له مجموعة من المفردات ، وليس مجموعة من العلاقات ومن هنا تميز محمود درويش بتحرره من ضغط الواقع عليه - رغم انتمائه اليه - محتفظا لشعره بقيمته الجمالية دون الوقوع فى أسر القيمة الابلاغية التى تعرفها مستويات التعبير الأخرى - غير الشعرية - .

وحتى الموقف الفكرى لمحمود درويش الذى يكشف عنه شعره لا يقف عند حدود قضيته بل انه يكتشف البعد الانسانى الكامن فيها الأمر الذى يفتح شعره على قضية وجود الانسان الكبرى وليس مسألة الاحتلال فحسب ، وهذا الاغناء الانسانى الذى يتمتع به شعر درويش يؤدى وظيفته الجمالية بتحمله لهذه القيمة العليا التى لا تنحصر فى اقليمية القضية ولكن تنفتح على أبعادها المأساوية التى يعيشها الفلسطينى كانسان .

يؤكد هذا الذى نذهب اليه من نزعة انسانية عامة فى شعر درويش نمطا "الأسطورة" و " الرمز " اللذان اتكأ عليهما درويش فى أداء موقفه الفكرى جماليا .

ويتميز شعر " محمود درويش " بنزعة ملحمية تتشابك فيها الأصوات والمواقف والتراكيب دون أن يفقد سمته الغنائية وانما تحتضن هذه السمة تلك النزعة وتغتنى بها .

تمثل المراحل الفنية التى مر بها " محمود درويش " تطويرا مستمرا لادواتـــه وتقنيات استخدامها ، وتجاوزا دائما لتقاليده الفنية السابقة حتى نستطيع أن نجـد للتصنيف الكرونولوجى لشعره - دلالته الجماليـــة .